لكن صورة الوجه لا تغاير دائما صورة زمن تشكلها · وفي زمن الرحيل والمخيمات يضيع الوجه وتنبه الذاكره ويغرق « الطفل الجميل » في تناقض يبحث عن الحل :

ـ « أحس برعشة باردة تهزه ، وراح يلعن نفسه لوصوله الى مثل هذه الفكرة الخبيثة ، التي ستحوله الى « داسوس » وتقرب النجمة المسننة من جبينه » ص ٩٦ ··

ـ « شد سليم البهلول على رأسه بكلتا يديه ، وقلبه يكاد يطير من الهلع ، مجرد ان قفزت صورته الى مخيلته وهو يحمل البندقية الرشاشة ، وطلقاتها السريعة تتلاحق من بين يديه اللتين راحتا ترتعشان بسرعة عجيبةً ، وأقسم أن لا يعود الى التفكير في ذلك مطلقا » ص ٩٦ ·

لكن فكر « سليم » يعود من جديد الى البندقية ، تحملها يداه ، فيستعيد وجهه ووجه فاطمة ، ويماثل في قدره ، او يكاد ، قدر « الشيخ لافي » ومسار قروي فلسطيني بسيط اسمه « أبو جابر الخليلي » ·

يحاول توفيق في قصة « البهلول » تلخيص الشرط الفلسطيني وطبيعة مساره ، رسم كثافة العلاقات ، ربط الحاضر بالماضي ، وربط الحاضر بالحاضر بحيث تبدو كلية نضال الانسان الفلسطيني في خصائصها وتناقضاتها · لبلوغ هذا الهدف يمارس توفيق « احتيال العقل » في الرمز ، في دلالة ومعنى البهلول ·

فالشعب الفلسطيني كان بهلول « الشعب العربي والعالم » لانه كان ينادي بما لا يقبله العقل : « عودة الشعب الفلسطيني الى ارضه » · و « سليم البهلول ـ الفدائي » هو بهلول المخيم الفلسطيني الذي رأى في حمل البندقية في البداية عملا انتحاريا · اي ان الشعب الفلسطيني قبل ـ في زمن مضى ـ صورة البهلول التي ألبسه اياها « العالم » ثم عكسها على ذاته من جديد لينتج « بهلوله الخاص » · اي أننا أمام انعكاس مزدوج او انعكاس الانعكاس ، بهلول ينتج آخر ، ولم يتوار هذا الانعكاس الا بعد تصاعد نضال الشعب الفلسطيني وتأكيده لهويته الوطنية والسياسية · تراجع الانعكاس القديم ليفسح مكانه لانعكاس جديد ، وصورة جديدة ·

على الرغم من التماسك الفني لقصة « البهلول » فاننا نأخذ على توفيق **نزوعه الى المباشرة** (الاضافة ـ البرهان) الذي تجلى في اكثر من مكان في القصة ·

والمباشرة هنا لا تريد ان تسجل موقفا سياسيا او ايديولوجيا بل تريد « انارة الحدث » · لكن هذه « الانارة » جاءت زائدة وبلا وظيفة · فقد اراد توفيق ان « يبرهن » لماذا يتطور « بهلوله » باتجاه الفدائي ، ولهذا كان يسرع او يحرض هذا التطور بأفعال خارجية مباشرة او « مضافة » :

ـ « وجد نفسه فجأة ، يقف في عرض الطريق وحيدا ، دون ان يفقه ما الذي حصل ، وكيف انصاع الناس لكلام هذا الجندي المجنون بينما لم يستمع اليه أحد » ص ١٠١ ·

ـ « وقبل ان يسارع الى تجنبها دفعه أحد الجنود بعقب بندقية وهو يطلق ضحكة ساخرة ، فسقط سليم على وجهه وسط الغبار المنعقد فوق رأسه » ص ٩٧ ·

ان هذه الاضافة تعطي تطورا خارجيا وقسريا للشخصية ولا تغني الخط العام الذي يحكم مسار هذه الشخصية ·